

## التنبهات المتعلقة بأحكام الكلمات

### من جهة أفرادها وتركيبها في كتاب البرهان في علوم القرآن

سارة حميد عبود الجنابي ، أ.د. هادي أحمد فرحان الشجيري ، أ.د. عمر عدنان علي المشهداني

#### مستخلص:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:  
إن كتاب البرهان في علوم القرآن من أفضل الكتب المصنفة في علوم القرآن، وقد وقع اختياري عليه ليكون مجال دراستي، وهو يحتوي على تنبيهات علمية فريدة وهامة، وهذه التنبيهات شملت مسائل علمية دقيقة، تحتاج إلى إعمال فكر لفهمها واستخراج مدلولاتها، وبعض هذه التنبيهات كانت موضوع هذا البحث، كما موضح في العنوان، وهذا البحث مستلماً من أطروحتي للدكتوراه التي تضمنت دراسة جميع التنبيهات التي أوردها الزركشي في كتابه، وقد وقع اختياري على ثلاثة تنبيهات وردت في النوع العشرين من أنواع علوم القرآن، والتي تتناول العلاقة بين التفسير والإعراب.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز الفائدة التفسيرية لهذه التنبيهات من خلال مقارنة ما جاء فيها بأقوال العلماء، وتقريب هذه التنبيهات من خلال شرحها بعبارة أبسط.  
وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قمت باستقراء هذه التنبيهات ثم مناقشتها ودرستها.

#### Abstract :

All praise is due to Allah, and may peace and blessings be upon the Messenger of Allah, his family, companions, and those who follow him.

The book Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an (The Proof in the Sciences of the Qur'an) is considered one of the finest works in the field of Qur'anic sciences. I have chosen this book as the subject of my research due to its inclusion of unique and significant scholarly insights. These insights address precise and intricate issues that require deep reflection to fully comprehend and extract their implications.

Some of these insights have been the focus of this study, as indicated by the title. This research is derived from my doctoral dissertation, which examined all of the insights presented by al-Zarkashi in his book. Specifically, I selected three insights from the twentieth type of Qur'anic sciences discussed in Al-Burhan, which deals with the relationship between tafsir (exegesis) and i'rab (grammatical analysis).

The aim of this study is to highlight the exegetical value of these insights by comparing them with the statements of other scholars and by clarifying them using simpler language for better understanding.

This research adopts an inductive-analytical approach, wherein I first surveyed these insights, then analyzed and discussed them in detail.

المبحث الأول : الزركشي وكتابه البرهان في علوم

القرآن. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حياة الزركشي وأثره العلمي.

المطلب الثاني: كتاب البرهان وقيمه العلمية.

المطلب الثالث: التعريف بالتنبیہات في كتاب البرهان.

المبحث الثاني: التنبیہات المتعلقة بأحكام الكلمات من جهة أفرادها وتركيبها. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين تفسير المعنى وتفسير الإعراب.

المطلب الثاني: تجاذب الإعراب والمعنى.

المطلب الثالث: بيان مراتب الكلام.

### المبحث الأول

#### الزركشي وكتابه البرهان في علوم القرآن

المطلب الأول: حياة الزركشي وأثره العلمي.

نسبه ونشأته:

محمد بن عبد الله بن بهادر، بدر الدين الزركشي، الشافعي، الإمام العلامة صاحب المصنفات المباركات النافعات، ويكنى بـ(أبي عبدالله)، وقد لقب بـ (الزركشي) لأنه تعلم في صغره صنعة الزركش<sup>(1)</sup> فنُسب إليها. وهو تركي الأصل،

(1) الزَّرْكَش: كلمة فارسية مُعَرَّبَةٌ؛ وأصلها مركبة من: زر ومعناه: الذهب، ومن: كش ومعناه ذو، والمعنى الكلي: الحرير المنسوج بالذهب، أو الثوب المذهب؛ أو الثوب تطرز حواشيه بخيوط الذهب، وقد كان المالك في مصر يكلفون صنَّاع الثياب بتزويدهم من نسيج مصنوع من الحرير والذهب الخالص؛ يطلقون عليه: الزركش؛ وكان اسم السلطان أو الأمير يُسجَّل على هذا النسيج، ويسمون ذلك رَقْمًا. ينظر: المعجم العربي لأسماء الملابس: 208.

### المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

إن علم التفسير من أجل العلوم وأشرفها وأعلاها، وكذلك علوم القرآن، وذلك لشرف موضوعها وهو القرآن الكريم، والاشتغال بهذين العلمين من أجل الطاعات والقربات، وقد برع في هذين العلمين الكثير من العلماء، ومنهم الإمام بدر الدين الزركشي -رحمه الله- ولعل من أبرز كتبه في هذا المجال كتاب البرهان في علوم القرآن، ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد وقع اختياري عليه ليكون مجال دراستي، فهو يحتوي على تنبيہات علمية فريدة وهامة، وهذه التنبیہات شملت مسائل علمية دقيقة، تحتاج إلى إعمال فكر لفهمها واستخراج مدلولاتها، وهذا البحث مستلماً من أطروحتي للدكتوراه التي تضمنت دراسة جميع التنبیہات التي أوردها الزركشي في كتابه، وقد وقع اختياري على ثلاثة تنبيہات وردت في النوع العشرين من أنواع علوم القرآن، والتي تتناول العلاقة بين التفسير والإعراب.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز الفائدة التفسيرية لهذه التنبیہات من خلال مقارنة ما جاء فيها بأقوال العلماء، وتقريب هذه التنبیہات من خلال شرحها بعبارة أبسط.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قمت باستقراء هذه التنبیہات ثم مناقشتها ودرستها.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن ينتظم في هذه المقدمة ومبحثان وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، وكما يأتي:

الذهب)، أخذ عنه الزركشي علم النحو، توفي سنة (761هـ)<sup>(6)</sup>.

- الشيخ جمال الدين الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي، الإسنوي الشافعي، ولد سنة (704هـ)، ومن مصنفاته: كتاب الهداية إلى أوهام الكفاية، وكتاب التصحيح، وغيرها، توفي في القاهرة سنة (772هـ)<sup>(7)</sup>.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، الإمام الحافظ عماد الدين، المفسر المؤرخ الكبير، صاحب (البداية والنهاية)، و(التفسير)، وغيرها، توفي ابن كثير سنة (774هـ)<sup>(8)</sup>.

وتتلمذ على يدي الزركشي كثير من العلماء، ومن أبرزهم:

- محمد بن أبي بكر ابن الحسين، أبو اليُمْن، القاهري الأصل، ولد بالمدينة ونشأ بها، كان أماماً عالماً كثير الفوائد ظريف المحاضرة والمحادثة، توفي سنة تسع عشرة وثمان مائة<sup>(9)</sup>.

- كمال الدين، محمد بن حسين بن محمد بن الشُّمِّي، تخرج بيد الدين الزركشي، ونظم الشعر الحسن، ونزل بالمدرسة الجمالية طالباً في درس الحديث، توفي سنة (820هـ)<sup>(10)</sup>.

- محمد بن عبد الدايم بن موسى بن عبد

(6) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 3/94،

والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: 10/336.

(7) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 31/167،

والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: 7/242-245.

(8) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: 1/67-

68، طبقات المفسرين للداوودي: 1/111-112.

(9) ينظر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس: 3/294-

295، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع: 7/161-

162.

(10) ينظر: إنباء الغمر بأبناء العمر: 3/186؛

مصري الولادة والنشأة والوفاة، ولد بمصر سنة (745هـ)<sup>(1)</sup>.

نشأ الزركشي في أسرة فقيرة، وكان أبوه (بهادر) مملوكاً لبعض الأعيان، فعاش حياة متواضعة، واشتغل منذ صغره مع أبيه في صناعة الزركش، ليساعد أباه في حمل أعباء الأسرة، وانصرف بعد ذلك إلى طلب العلم ولازم الاشتغال حتى برع به وهو في مقتبل العمر<sup>(2)</sup>، كان متفرغاً لطلب العلم والاشتغال به، وكان له أقارب يكفونه أمر دنياه<sup>(3)</sup>. بدأ الزركشي طلبه للعلم منذ صغره، وكان محباً للعلم، فقد حفظ كتاب (منهاج الطالبين)<sup>(4)</sup> بعمر صغير، فلقب بـ(المناهجي) نسبة لذلك، وحفظ كذلك العديد من المتون والمختصرات<sup>(5)</sup>.

شيوخه وتلاميذه:

عاصر الزركشي مجموعة من العلماء الراسخين، أخذ عنهم العلم والمعرفة، ومنهم:

- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن هشام جمال الدين، النحوي، المشهور، ولد سنة (708هـ)، له: (مغنى اللبيب عن كتب الأعراب) و(شذور

(1) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 5/134،

وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: 1/437.

(2) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 5/134،

والدليل الشافي على المنهل الصافي: 2/609، وشذرات

الذهب في أخبار من ذهب: 8/572.

(3) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: 8/573.

(4) مختصر المحرر للإمام أبي القاسم الرافعي رحمه الله

تعالى، وهو كتاب كثير الفوائد عمدة في تحقيق المذهب

الشافعي لكنه كبير الحجم فرأى الإمام النووي

اختصاره في نحو نصف حجمه ليسهل حفظه،

فاختصره وسماه: (منهاج الطالبين وعمدة المفتين في

الفقه). ينظر: منهاج الطالبين: 7، وكشف الظنون عن

أسامي الكتب والفنون: 2/1873.

(5) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 5/134.

ونظراً إلى تنوع مسائل علوم القرآن وكثرتها، بالإضافة إلى تعدد آراء العلماء فيها، فقد حاول الزركشي أن يجمع ذلك إثراءً لتلك العلوم، ولهذا السبب لم يترك شاردة ولا واردة إلا ذكرها، وهذا ما جعله يضيف للأصناف والفصول تقسيمات أخرى مثل: الفوائد، والتفريعات، والتنبیہات، وغير ذلك<sup>(3)</sup>. ويُعد كتاب البرهان من أجمع ما صُنّف في علوم القرآن، جمع فيه خلاصة ما صُنّف قبله، وأضاف إليها مسائل كثيرة، ويُعد من ألف بعد الزركشي في علوم القرآن عيال عليه<sup>(4)</sup>.

وقد وصفه ابن حجر بقوله: «ورأيت أنا بخطه من تصنيفه البرهان في علوم القرآن من أعجب الكتب وأبدعها مجلدة»<sup>(5)</sup>.

#### موضوعاته:

ضمن الزركشي كتابه البرهان سبعة وأربعين نوعاً من أنواع علوم القرآن مقتصرًا في كل نوع على أصوله، والرمز إلى بعض فصوله، وصرح بأنه لو أراد الإنسان أن يستقضي كل نوع من الأنواع المذكورة لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره، وقد تنوعت موضوعات البرهان فشملت أهم العلوم وأكثرها حاجة لطالب التفسير، وفهم مراد الله من كتابه<sup>(6)</sup>.

**المطلب الثالث: دراسة التنبیہات في كتاب البرهان. مفهوم التنبیه.**

**التنبیه في اللغة:** من الجذر الثلاثي (ن، ب، ه)

(3) ينظر: الزركشي ومنهجه في كتاب البرهان في علوم القرآن: 199.

(4) ينظر: التساؤلات في كتاب البرهان للزركشي وجوابه عنها (جمعاً ودراسة): 33.

(5) إنباء الغمر بأبناء العمر: 1/447.

(6) الزركشي ومنهجه: 149.

الدايم العسقلاني الأصل البرماوي، لازم بدر الدين الزركشي وتمهر على يديه، وله تصانيف منها شرح البخاري، وشرح العمدة، وغيرها، توفي سنة (831هـ)<sup>(1)</sup>.

#### مؤلفاته:

خلف الإمام الزركشي -رحمه الله- مؤلفات عديدة عظيمة النفع، تبلغ قرابة خمسين كتاباً في مختلف العلوم، منها: تفسير القرآن العظيم، وصل فيه إلى سورة مريم، والإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة، والنكت على مقدمة ابن الصلاح، والسراج الوهاج تكملة شرح المنهاج، البحر المحيط في أصول الفقه<sup>(2)</sup>، وغير ذلك من المؤلفات التي تزرعها المكتبات.

#### وفاته:

توفي الزركشي -رحمه الله- يوم الأحد، في الثالث من شهر رجب سنة (794هـ) بمصر، جزاه الله خيراً على ما قدمه من علم نافع لطلاب العلم من بعده.

#### المطلب الثاني: كتاب البرهان وقيمه العلمية.

يُعد كتاب البرهان من أهم الكتب المصنفة في علوم القرآن، فقد جمع فيه الزركشي صفوة آراء العلماء حول القرآن الكريم، وأضاف إليها عصارة أفكاره، وقد جمع علوم القرآن بطريقة لم يسبقه إليها أحد، وجعلها في سبعة وأربعين نوعاً، يبدأ كل نوع بإحصاء الكتب المؤلفة فيه، ثم يتناول الموضوع بجميع جوانبه ولا يغفل منها شيئاً.

(1) ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: 2/181، وإنباء الغمر بأبناء العمر: 3/414.

(2) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 5/134، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 1/240.

حتى فصول، وبعض الأنواع تكون غنية بهذه التقسيمات، ويبدو أن المادة العلمية هي التي تحتم عليه هذا التقسيم أو ذاك، فهو يرتب النوع الواحد بحسب ما تقتضيه المادة العلمية لذلك النوع. ومما يؤخذ على الزركشي أنه لم يعنون لبعض هذه التقسيمات، ومن ضمنها التنبهات فبعضها جاءت بعنوان والبعض الآخر أوردها من غير عنوان.

وللتنبهات أهمية علمية لا تقل عن أهمية الأنواع، بل إن بعضها يصلح أن يكون نوعاً بذاته.

### المبحث الثاني : في معرفة أحكام الكلمات من جهة إفرادها وتركيبها

من المباحث الأساسية في مجال علوم القرآن هو (إعراب القرآن)، ألفاظاً وجمالاً، ولهذا المبحث أهمية كبيرة في الكشف عن معاني القرآن الكريم؛ للارتباط الوثيق بين المعنى والمبنى في اللغة العربية، أو بين اللفظ وإعرابه؛ إذ يتغير المعنى بتغير الإعراب، ولعل ما يميز اللغة العربية عن كثير من اللغات هو الارتباط الوثيق بين المعنى والإعراب، وبهذا الترتيب فالنصّ العربي يفهم أولاً، ثم يُقرأ قراءة صحيحة، أي: معربة على الوجه الصحيح<sup>(3)</sup>. وَمِنْ فَوَائِدِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ مَعْرِفَةُ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْإِعْرَابَ يُمَيِّزُ الْمَعْنَى وَيُوقِفُ عَلَى الْغَرَضِ مِنَ الْكَلَامِ، كَمَا أَنَّ إِعْرَابَ الْقُرْآنِ ضَرُورِيٌّ لِلتَّفْسِيرِ، ثُمَّ هُوَ لَا يَنْفَصِلُ عَنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ، وَعَلَيْهِ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ عِلْمٍ مُتْرَابَةٌ هِيَ: عِلْمُ التَّفْسِيرِ، وَعِلْمُ الْإِعْرَابِ، وَعِلْمُ الْقُرْآنِ، مِنْ هُنَا نَلَاظِحُ أَنَّ مَعْظَمَ كُتُبِ التَّفْسِيرِ لَا تَخْلُو مِنْ إِشَارَاتٍ إِلَى وَجْهِ الْقُرْآنِ

(نبه) والنُّبْه: القيام من النوم، وَقَدْ نَبَّهَهُ وَأَنْبَهَهُ مِنَ النَّوْمِ فَتَنَّبَهُ وَأَنْتَبَهُ، وَأَنْتَبَهُ مِنْ نَوْمِهِ أَي: اسْتَيْقَظَ<sup>(1)</sup>. وبالتالي فإن معنى التنبه يدور حول اليقظة والفتنة والشعور والإيجاد، وكلها عكس الغفلة. التنبه في الإصطلاح: «ما يفهم من مجمل بأدنى تأمل، إعلاماً بما في ضمير المتكلم للمخاطب، وقيل: التنبه: قاعدة تعرف بها الأبحاث الآتية بجملته»<sup>(2)</sup>.

ومما تقدم يتبين أن لفظ التنبه بمعنييه اللغوي والإصطلاحي يدل على أهمية المسألة المنبّه عليها، ويدعو إلى الإلتباه لها من خلال التأمل بالكلام السابق، ويُعرف مضمون التنبه بعبارة لاحقة، وقد يكون تفصيل لمجمل، أو توضيح لمبهم، أو قاعدة مستنبطة، أو غير ذلك.

### وصف التنبهات:

التنبهات هي إحدى تقسيمات كتاب البرهان، فالزركشي كما هو معلوم قسم كتابه إلى أنواع، كل نوع يختص بعلم من علوم القرآن، ونظراً إلى كثرة مسائل علوم القرآن وتنوعها، وتعدد أقوال العلماء فيها، وغزارة المادة العلمية، فقد قام الزركشي بإضافة تقسيمات أخرى مثل الفصول، والفوائد، والتنبهات، والتفريعات، وغير ذلك.

مثال ذلك: أورد الزركشي النوع الرابع عشر: «معرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات وعددها» وبعد ذلك عقد فصلاً «في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه» ثم أتبع هذا الفصل بـ (فائدة) ثم أردف بـ (تنبيه) ثم (فائدة). وهذا الترتيب ليس ثابتاً في جميع الأنواع، فهناك أنواع لا تحتوي على تنبيهات أو فوائد أو

(1) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: 4/333، وأساس البلاغة: 2/245، ولسان العرب: 13/546.

(2) التعريفات: 67.

(3) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/7.

المختلفة، وبالتالي إلى وجوه الإعراب<sup>(1)</sup>.

يقول الإمام الزركشي: «وَعَلَى النَّاطِرِ فِي كِتَابِ

اللَّهِ الْكَاشِفِ عَنْ أَسْرَارِهِ النَّظْرُ فِي هَيْئَةِ الْكَلِمَةِ

وَصِبْغَتِهَا وَمَحَلِّهَا كَكَوْنِهَا مُبْتَدَأً أَوْ خَبَرًا، أَوْ فَاعِلَةً،

أَوْ مَفْعُولَةً، أَوْ فِي مَبَادِيءِ الْكَلَامِ، أَوْ فِي جَوَابِ إِلَى غَيْرِ

ذَلِكَ مِنْ تَعْرِيفٍ، أَوْ تَنْكِيرٍ، أَوْ جَمْعِ قَلَّةٍ، أَوْ كَثْرَةٍ إِلَى

غَيْرِ ذَلِكَ»<sup>(2)</sup>.

ويجب على معرب القرآن مراعاة أمور<sup>(3)</sup>:

أحدها: وهو أول واجب عليه، أن يفهم معنى

ما يريد أن يعربه مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب؛

فإنه فرع المعنى، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور

إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثره الله بعلمه،

فمثلاً قوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: 87]

فإن كان المراد بالسبع القرآن، ف(من) للتبويض،

والقرآن حينئذ من عطف العام على الخاص، وإن

كان المراد بالسبع الفاتحة، ف(من) لبيان الجنس أي

سبعاً هي المثاني.

الثاني: تجنب الأعراب المحمولة على اللغات

الشاذة؛ فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش

الثالث: تجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى أو

التكرار، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل، كقولهم: الباء

زائدة ونحوه، مرادهم: أن الكلام لا يختل معناه

بحذفها لأنه لا فائدة فيه أصلاً؛ فإن ذلك لا

يحتمل من متكلم فضلاً عن كلام الحكيم.

الرابع: تجنب الأعراب التي هي خلاف الظاهر

والمنافية لنظم الكلام.

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/7، والبرهان في علوم

القرآن: 1/301، والإتقان في علوم القرآن: 2/309.

(2) البرهان في علوم القرآن: 1/439.

(3) ينظر، مغني اللبيب عن كتب الأعراب: -1/684

782، والبرهان في علوم القرآن: 1/439-446.

(4) البرهان في علوم القرآن: 1/304.

الخامس: تجنب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة.

السادس: البحث عن الأصلي والزائد، ومن

هذا قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَكَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ

عُقْدَةُ النَّكَّاحِ﴾ [البقرة: 237]، فإنه قد نتوهم الواو

في الأولى ضمير الجمع فيشكل ثبوت النون مع أن،

وليس كذلك بل الواو هنا لام الكلمة، والنون

ضمير جمع المؤنث، فبنى الفعل معها على السكون،

فإذا وصل الناصب أو الجازم لا تحذف النون.

ذكر الزركشي هذه الأمور الستة التي يجب

مراعاتها من قبل المفسر والناظر في كتاب الله، وذكر

معها ثلاثة تنبيهات تخص هذا الموضوع:

المطلب الأول: الفرق بين تفسير المعنى وتفسير

الإعراب.

عنوان التنبيه: الفرق بين تفسير المعنى وتفسير

الإعراب.

نص التنبيه: قال الزركشي: [قد يقع في كلامهم

هذا تفسير معنى وهذا تفسير إعراب والفرق بينها

أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة

النحوية وتفسير المعنى لا يضر مخالفة ذلك، وقد

قال سيبويه في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا

كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ﴾ [البقرة: 117]، تقديره مثلك يا

محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به

واختلف شارحون في فهم كلام سيبويه فقيل: هو

تفسير معنى، وقيل: تفسير إعراب فيكون في الكلام

حذفان حذف من الأول وهو حذف داعيهم وقد

أثبت نظيره في الثاني وحذف من الثاني وهو حذف

المنعوق وقد أثبت نظيره في الأول فعلى هذا يجوز

مثل ذلك في الكلام<sup>(4)</sup>.

أكثر من سماعه، ويدل ذلك على صحة هذا أن الكفار لم يشبهوا بما ينعتق؛ لأن الذي ينعتق هو الراعي، وهم لم يشبهوا به، وإنما شبهوا بالمنعوق به»<sup>(3)</sup>.

وحمله بعضهم على الحذف، «فيكون في الكلام حَذْفَان: حَذْفٌ مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ حَذْفُ (دَاعِيَهُمْ)، وقد أثبت نظيره في الثاني، وحذف من الثاني وهو حَذْفُ المنعوق، وقد أثبت نظيره في الأول، فشبه داعي الكفار براعي الغنم في مخاطبته من لا يفهم عنه، وشبه الكفار بالغنم في كونهم لا يسمعون مما دُعوا إليه إلا أصواتاً لا يعرفون ما وراءها، وفي هذا الوجه حذف كثير؛ إذ فيه حذف معطوفين؛ إذ التقدير الصناعي: «وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَدَاعِيَهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِالْمَنْعُوقِ بِهِ»، هذا ما ذكره السمين الحلبي<sup>(4)</sup> وقد ذهب إليه جماعة<sup>(5)</sup>، وقالوا:

إن العرب تستحسن ذلك وهو من بدیع كلامهم<sup>(6)</sup>.  
وَمَثَلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءً﴾ [النمل: 12]، التَّقْدِيرُ: (وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) تَدْخُلُ غَيْرَ بَيْضَاءٍ، وَأَخْرَجَهَا تَخْرُجُ بَيْضَاءً، فَحَذَفَ تَدْخُلُ لِدَلَالَةِ تَخْرُجُ، وَدَلَّتْ عِبَارَةُ (وَأَدْخَلَ)

(3) شرح كتاب سيبويه للسيرافي: 2/107.

(4) احمد بن يوسف بن محمد وقيل عبد الدائم أبو العباس الحلبي النحوي المقرئ الفقيه المعروف بابن السمين كان فقيها بارعا في النحو والتفسير، ولي نظر الأوقاف في القاهرة، له: تفسير القرآن، والدر المصون، وأحكام القرآن، وغيرها، توفي سنة (756هـ). ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، 19-18/3.

(5) منهم: أبو بكر بن طاهر، وأبو الحسن بن خروفي، وأبو علي الشلوين. ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 2/232.

(6) ينظر: الكشاف: 1/214، والبحر المحيط في التفسير: 2/106، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 2/231-232، واللباب في علوم الكتاب: 3/165، والبرهان في علوم القرآن: 1/442.

توضيح التنبيه: يبين الزركشي ما يقع في كلام المفسرين من قولهم: هذا تفسير معنى، أو هذا تفسير إعراب، فمثلاً: يفسر المفسر آية معينة، وبعد الانتهاء يقول: وهذا تفسير معنى، أو يقول: هذا تفسير إعراب، ثم يبين الفرق بينهما: أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا يضر مخالفة ذلك.

#### المناقشة:

ليتضح التنبيه لا بد من مناقشة المثال الذي أورده الزركشي:

نقل الزركشي قول سيبويه في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ [البقرة: 117]، قال: تقديره: مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع، واختلف الشارحون في فهم كلام سيبويه. توضيح المثال: شبه داعي الكفار براعي الغنم في مخاطبته من لا يفهم عنه، وشبه الكفار بالغنم في كونهم لا يسمعون مما دعوا إليه إلا أصواتاً ولا يعرفون ما وراءها، وقد ذكر سيبويه أنه جاء على سعة الكلام، والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى<sup>(1)</sup>.

وقد بيّن السيرافي<sup>(2)</sup> معنى كلام سيبويه بقوله: «الناعق الراعي والمنعوق به الغنم، فجعل المؤمنين كالراعي والكفار كالمنعوق به، والتمثيل في ذلك كله أن الكفار لم يعتقدوا ما خوطبوا به، ولم يحصلوا به

(1) الكتاب: 1/212.

(2) الحسن بن عبد الله بن المرزبان، أبو سعيد القاضي السيرافي النحوي، كان من أعلم الناس بنحو البصريين، لحق الزجاج والسراج، وأخذ عنهما، وله شرح كتاب سيبويه، ولي القضاء في آخر عمره، توفي سنة (368هـ). ينظر: طبقات النحويين واللغويين: 119، وتاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: 28.

والسمين الحلبي في الدر المصون<sup>(7)</sup>، وأبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل<sup>(8)</sup> في اللباب<sup>(9)</sup>، فكثيراً ما كانوا يُعقبون بقولهم: وهذا تفسير معنى بعد تفسير الآية، أو بقولهم: وهذا تفسير إعراب، بعدما تُفسر الآية مع مراعاة الصناعة النحوية.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: 143] ، يُحتمل أن يراد بالقبلة: الكعبة، ويحتمل أن يراد بها بيت المقدس، حيث كلُّ منهما متصف بأنه كان عليه. وقال ابن عباس: القبلة في الآية: الكعبة، وكنت بمعنى: أنت، كقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: 110] ، بمعنى: (أنتم)<sup>(10)</sup>، قال أبو حيان: « وَهَذَا مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، إِنْ صَحَّ تَفْسِيرُ مَعْنَى، لَا تَفْسِيرُ إِعْرَابٍ، لِأَنَّهُ يُؤْوَلُ إِلَى زِيَادَةِ كَانِ الرَّافِعَةِ لِلِاسْمِ وَالنَّاصِبَةِ لِلْخَيْرِ، وَهَذَا لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، وَإِنَّمَا تَفْسِيرُ الإِعْرَابِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، مَا نَقَلَهُ النَّحْوِيُّونَ، أَنْ كَانَ تَكُونُ بِمَعْنَى صَارَ، وَمَنْ صَارَ إِلَى شَيْءٍ وَاتَّصَفَ بِهِ، صَحَّ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى نِسْبَةُ ذَلِكَ الشَّيْءِ إِلَيْهِ، فَإِذَا قُلْتِ: صِرْتَ عَالِمًا، صَحَّ أَنْ تَقُولَ: أَنْتَ عَالِمٌ، لِأَنَّكَ تُخْبِرُ

في الأوائل على عبارة (وأخرجها) المحذوفة من الأواخر<sup>(1)</sup>.

وهذا النوع من الحذف يسمى الاحتباك<sup>(2)</sup>، قال الشيخ عبد الرحمن حبنكة: «وهذا الحذف من الأوائل لدلالة الأواخر، ومن الأواخر لدلالة الأوائل يُسمى (الاحتباك) إذا اجتمع الحذفان معاً، وله في القرآن نظائر، وهو من إبداعات القرآن وعناصر إعجازه.»<sup>(3)</sup>

وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ هِزَةٌ

كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلُهُ الْقَطْرُ<sup>(4)</sup>.

هَذَا الْبَيْتُ فِيهِ مِنَ الْبَدِيعِ صَنْعَةُ الْاِحْتِبَاكِ، وَالتَّقْدِيرُ فِيهِ: وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ هِزَةٌ وَانْتِفَاضَةُ كَهِزَةِ الْعُصْفُورِ وَانْتِفَاضَتِهِ. فَحَذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ، وَحَذَفَ مِنَ الثَّانِي لِدَلَالَةِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ<sup>(5)</sup>.

هذا كله يُعد تفسير إعراب وليس تفسير معنى، وأكثر من عنى بذلك - تفسير المعنى وتفسير الإعراب - أبو حيان النحوي في البحر المحيط<sup>(6)</sup>،

(1) ينظر: البحر المحيط في التفسير: 2/106، والبلاغة العربية: 2/56.

(2) الاحتباك: هو أن يُحذف من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابله في الأواخر، ويُحذف من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابله في الأوائل. البلاغة العربية: 2/54.

(3) البلاغة العربية: 1/347.

(4) هَذَا الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لِأَبِي صَخْرٍ الْهَنْدَلِيِّ. أورد بعضها أبو تمام في باب النسيب من الحماسة ورَوَاهَا تَمَامًا أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ عَنْ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ وَابْنِ دُرَيْدٍ، لباب الآداب: 1/412، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: 3/258.

(5) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: 3/257-258.

(6) ينظر: البحر المحيط في التفسير: 1/116، 2/15.

2/106، 2/204، 2/553، وغيرها.

(7) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 1/369، 2/154، 2/228، 2/231، 2/228، 2/374، وغيرها.

(8) عمر بن علي بن عادل الدمشقي أبو حفص الحنبلي النعماني من تصانيفه: اللباب في علوم الكتاب في تفسير القرآن وله حاشية على (المحرر) في الفقه، توفي بعد (775هـ)، ينظر: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: 1/793، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: 1/794.

(9) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 2/89، 3/20، 3/159، 3/165، 3/290، 3/505، وغيرها.

(10) ينظر: البحر المحيط في التفسير: 2/5.

بصحة المعنى يؤدي لصحة الإعراب.

#### المناقشة:

لقد أفرد ابن جني<sup>(4)</sup> في كتابه (الخصائص) باباً لهذا الموضوع، وذكر أن أبا علي الفارسي - رحمه الله - كان يُلَمُّ به كثيراً، ويحث على المراجعة له، وإمعان النظر فيه<sup>(5)</sup>.

وقد أفاد الزركشي مما ذكره ابن جني، ونقل عنه هذا التنبيه، ولكي تتضح المسألة لا بد من أمثلة:

مثال ذلك: قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: 8]، المعنى إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر، وَالظَّرْفُ الَّذِي هُوَ (يَوْمٌ)، يَقْتَضِي الْمَعْنَى أَنَّ يَتَعَلَّقَ بِالْمُصْدَرِ الَّذِي هُوَ رَجَعُ أَي: إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَقَادِرٌ لَكِنَّ الْإِعْرَابَ يَمْنَعُ مِنْهُ؛ لِعَدَمِ جَوَازِ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمُصْدَرِ وَمَعْمُولِهِ بِأَجْنَبِيٍّ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ يُضْمَرُ نَاصِباً يَتَنَاوَلُ الظَّرْفَ، وَيَكُونُ الْمَصْدَرُ الْمَفُوظَ بِهِ دَالاً عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ حَتَّى كَأَنَّهُ قَالَ فِيمَا بَعْدَ: يَرْجِعُهُ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرِ. وَدَلَّ (رَجْعَهُ) عَلَى (يَرْجِعُهُ) دَلَالَةَ الْمَصْدَرِ عَلَى فِعْلِهِ، أَي: يُجْعَلُ الْعَامِلُ فِيهِ فِعْلاً مُقَدَّرًا دَلَّ عَلَيْهِ الْمُصْدَرُ<sup>(6)</sup>.

وذلك بناءً على القاعدة النحوية «أن المصدر المقدر بالحرف المصدرى والفعل مع معموله كالموصول مع صلته، فلا يتقدم ما يتعلق به عليه

عَنْهُ بِشَيْءٍ هُوَ فِيهِ، فَتَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ: كُنْتَ بِأَنْتَ، هُوَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَهُوَ تَفْسِيرٌ مَعْنَى، لَا تَفْسِيرٌ إِعْرَابٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ صَارَ خَيْرَ أُمَّةٍ، صَحَّ أَنْ يُقَالَ فِيهِ: أَنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ<sup>(1)</sup>.

#### المطلب الثاني: تجاذب الإعراب والمعنى.

##### عنوان التنبيه: تجاذب الإعراب والمعنى.

نص التنبيه: قال الزركشي: [قد يتجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد وكان أبو علي الفارسي<sup>(2)</sup> يلم به كثيراً وذلك أنه يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر والإعراب يمنع منه قالوا والتمسك بصحة المعنى يؤول لصحة الإعراب وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ \* يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرِ﴾ [الطارق: 8-9]، فالظرف الذي هو (يوم) يقتضي المعنى أن يتعلق بالمصدر الذي هو رجوع أي أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر لكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي يجعل العامل فيه فعلاً مقدرًا دل عليه المصدر<sup>(3)</sup>.

توضيح التنبيه: يبين الزركشي في هذا التنبيه أنه قد يتجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد، وذلك بأن المعنى يستدعي أمر معين والإعراب يأباه، ففي هذه الحالة يرى الزركشي أن التمسك

(1) البحر المحيط في التفسير: 2/15.

(2) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي، ولد بمدينة فسا واشتغل ببغداد، وكان إمام وقته في علم النحو، من مصنفاته كتاب الإيضاح، والتكملة في النحو، وكتاب التذكرة، وغيرها، توفي ببغداد سنة (377هـ). ينظر: وفيات الأعيان: 2/80، وسير أعلام النبلاء: 16/380.

(3) البرهان في علوم القرآن: 1/309.

(4) عثمان بن جني، أبو الفتح الموصلي النحوي اللغوي، له كتب مصنفة في علوم النحو، منها: التلقين، واللمع، والتعاقب في العربية، وشرح القوافي، وسر الصناعة، والخصائص، وغير ذلك، سكن ابن جني بغداد ودرس بها العلم إلى أن مات، وكانت وفاته ببغداد سنة (392هـ). ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: 2/336.

(5) ينظر: الخصائص: 3/258.

(6) ينظر: الخصائص: 3/259، والبرهان في علوم القرآن:

1/309، والقراءات وأثرها في علوم العربية: 2/193.

ولا (لخبير)، ولكن العامل فيها (بُعْثِرٌ)<sup>(5)</sup>. هذا يبين لنا أن الاعراب فرع المعنى، إذ بمعرفة حقائق الاعراب، تُعرف أكثر المعاني، ويحصل المراد، لذلك يجب على المعرب أن يفهم معنى ما يريد إعرابه، حتى يتسنى له الاعراب اعراباً سليماً؛ لأنه بمعرفة المعنى يحسن التوجيه ويصح الاعراب وإذا غمض المعنى، واستبهم المراد منه صعب فهمه، وأشكل إعرابه، وإذا تجاذب الاعراب والمعنى شيئاً واحداً بأن دعا إليه المعنى، ومنعه الاعراب، فالمعول عليه هو المعنى، ويؤول الاعراب لصحته، واستقامته<sup>(6)</sup>.

### المطلب الثالث: بيان مراتب الكلام

#### عنوان التنبيه: بيان مراتب الكلام.

نص التنبيه: قال الزركشي: [على النحوي بيان مراتب الكلام فإن مرتبة العمدة قبل مرتبة الفضلة ومرتبة المبتدأ قبل مرتبة الخبر ومرتبة ما يصل إليه بنفسه قبل مرتبة ما يصل إليه بحرف الجر وإن كانا فصلتين ومرتبة المفعول الأول قبل مرتبة المفعول الثاني وإذا اتصل الضمير بما مرتبه التقديم وهو يعود على ما مرتبه التأخير فلا يجوز أن يتقدم لأنه يكون متقدماً لفظاً ومرتبة وإذا اتصل الضمير بما مرتبه التأخير وهو يعود على ما مرتبه التقديم فلا يجوز أن يتقدم لأنه يكون مقدماً لفظاً مؤخرارتبة فعلى هذا يجوز في داره زيد لاتصال الضمير بالخبر ومرتبته التأخير ولا يجوز صاحبها في الدار لاتصال الضمير بالمبتدأ ومرتبته التقديم]<sup>(7)</sup>.

كما لا يتقدم شيء من الصلة على الموصول، ولا يفصل بينهما بأجنبي كما لا يفصل بين الموصول وصلته، وأنه إن ورد ما يوهم ذلك أول<sup>(1)</sup>. مثال آخر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَنِ فَكُفُّوْا﴾ [غافر: 10]، المعنى: أن هذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار؛ فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم، فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا بسبب كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم<sup>(2)</sup>، وهذا المعنى يقتضي تَعَلُّقَ إِذٍ بِالْمَقْتِ، ف«إذ» هذه في المعنى متعلقة بنفس قوله: (لمقت الله) عموماً من طريق المعنى، لكن الإعراب يَمْنَعُ ذَلِكَ؛ لِلْفَضْلِ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَمَعْمُولِهِ بِالْخَبَرِ، فَيُقَدَّرُ لَهُ فِعْلٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَقْتُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قَالَ بِآخِرِهِ: (مقتكم إذ تدعون)<sup>(3)</sup>، ففي هذه الحال يجب التمسك بصحة المعنى، ثم يُعْرَبُ الْكَلَامَ وَفَقَّأً لذلك المعنى.

مثال آخر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ \* وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ \* إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات: 11-9]، قال الزجاج في معناها: ((الله عز وجل خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى: إن الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم، وليس يجازيهم إلا بعلمه أعمالهم))<sup>(4)</sup>. وهذا المعنى يقتضي أن يكون العامل في (إذا) (لخبير)، لكن الاعراب يمنع ذلك؛ لأن ما بعد (إن) لا يعمل فيما قبلها، فاقتضى أن يُقَدَّرَ لها العامل، وقد ذكر النحاس أنه لا يجوز أن يعمل في (إذا) (يعلم)،

(5) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 5/174، والجامع لأحكام القرآن: 20/163، والبرهان في علوم القرآن: 1/449.

(6) ينظر: القراءات وأثرها في علوم العربية: 2/193.

(7) البرهان في علوم القرآن: 1/310.

(1) شرح الأشموني على الفية ابن مالك: 2/212.

(2) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: 2/228.

(3) ينظر: الخصائص: 3/259، والبرهان في علوم القرآن: 1/309.

(4) معاني القرآن واعرابه: 5/354.

يجعل التركيب ملبساً<sup>(4)</sup>.

2. الرتبة غير المحفوظة: وهي رتبة في النظام فقط، والعدول عنها موضوع من موضوعات البلاغة يسمى (التقديم والتأخير)، وهو دراسة لأسلوب التركيب، لا للتركيب نفسه<sup>(5)</sup>.

وربما هذا ما كان يقصده عبد القاهر الجرجاني عندما وضع اصطلاحه (الترتيب)، قال عبد القاهر: «لا يُتَّصَرُّ أَنْ تَعْرِفَ لَلْفِظِ مَوْضِعًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْرِفَ مَعْنَاهُ، وَلَا أَنْ تَتَوَخَّى فِي الْأَلْفَاظِ مِنْ حَيْثُ هِيَ الْأَفَاظُ تَرْتِيبًا وَنَظْمًا، وَأَنَّكَ تَتَوَخَّى التَّرْتِيبَ فِي الْمَعْنَى وَتُعْمِلُ الْفِكْرَ هُنَاكَ، فَإِذَا تَمَّ لَكَ ذَلِكَ أَتْبَعْتَهَا الْأَفَاظَ وَقَفَوْتَ بِهَا آثَارَهَا، وَأَنَّكَ إِذَا فَرَّغْتَ مِنْ تَرْتِيبِ الْمَعْنَى فِي نَفْسِكَ، لَمْ تَحْتَجْ إِلَى أَنْ تَسْتَأْنَفَ فِكْرًا فِي تَرْتِيبِ الْأَفَاظِ، بَلْ تَجِدُهَا تَرْتَّبَ لَكَ بِحُكْمِ أَنَّهَا حَدَمٌ لِلْمَعْنَى، وَتَابِعَةٌ لَهَا، وَلَا حِقَّةَ بِهَا، وَأَنَّ الْعِلْمَ بِمَوَاقِعِ الْمَعْنَى فِي النَّفْسِ، عِلْمٌ بِمَوَاقِعِ الْأَفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا فِي النَّطْقِ»<sup>(6)</sup>.

وهذا يدلنا أن معرفة مراتب الكلام، ومعرفة المتقدم والمتأخر منها يساعدنا في معرفة المعنى، لأن الالفاظ خدَم للمعاني كما يقول الجرجاني.

والزركشي يرى أن من واجب النحوي الذي يريد إعراب القرآن أن يبين مراتب الكلام، لأن هذا يعين على معرفة المعنى، مثلاً: ما ذكره القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: 55] قال: «الْعَامِلُ فِي (إِذْ) مَكْرُوًا، أَوْ فِعْلٌ مُضْمَرٌ. وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْنَى مِنْهُمْ الضَّحَّاكُ وَالْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ،

(4) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 207.

(5) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 207، وقرينة الرتبة في اللغة العربية: 3.

(6) دلائل الإعجاز في علم المعاني: الجرجاني: 54-53/1.

توضيح التنبيه: ذكر الزركشي أنه يجب على النَّحْوِيِّ بَيَانُ مَرَاتِبِ الْكَلَامِ؛ فَإِنَّ مَرْتَبَةَ الْعُمْدَةِ قَبْلَ مَرْتَبَةِ الْفَضْلَةِ، وَ(العمدة) فِي اصْطِلَاحِ النَّحَاةِ: خِلَافَ الْفَضْلَةِ، وَهُوَ مَا لَا يَسُوغُ حَذْفَهُ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا بِدَلِيلٍ يَقُومُ مَقَامَ اللَّفْظِ بِهِ<sup>(1)</sup>، كالمبتدأ، والفاعل، والمرفوعات.

أما (الفضلة) فهي ما يقابل العمدة، كالحال، والمفاعيل، ونحوهما مما ليس بجملة مستقلة ولا ركن كلام، وهذا هو المتعارف عند النحاة، وقد يطلق على ما يزيد على أصل المراد، ولا يفوت المراد بحذفه، وبعض النحاة يطلقها على النصب<sup>(2)</sup>.

#### المناقشة:

إن مراعاة مراتب الكلام حسب ترتيبها كمجيء المبتدأ قبل الخبر يُدعى (الرتبة المحفوظة)، كما أن موقع الكلمة من الجملة قد يدل على وظيفتها النحوية، وهذا ما يُطلق عليه (الرتبة)، والرتبة في النحو قرينة على المعنى، أما في الأسلوب فهي وسيلة فنية يعبر فيها المتكلم عن معنى إضافي دون الحاجة إلى استعمال كلمات جديدة<sup>(3)</sup>.

#### والرتبة نوعان:

1. الرتبة المحفوظة: هي قرينة لفظية تحدد معنى الأبواب المرتبة بحسبها، وهي موقع الكلمة الثابت سواءً كان متقدماً أو متأخراً، ومن الرتب المحفوظة في التركيب العربي تقديم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، وتأخير البيان عن المبين، وتخص هذه الرتبة النحو لأن أي إخلال يمسها

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 1/310، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 1/359، والمعجم الوسيط: 2/626.

(2) ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 2/1278.

(3) ينظر: قرينة الرتبة في اللغة العربية: 3.

لِأَنَّ الْوَاوَ لَا تُوجِبُ الرَّبُّبَةَ، وَالْمَعْنَى: إِنِّي رَافِعُكَ  
إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمُتَوَفِّيكَ بَعْدَ أَنْ  
تَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، كقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ  
لَكَانَ لِرِزَامًا وَاجِلٌ مُسَمًّى ۚ﴾ [طه: 129]، وَالتَّقْدِيرُ:  
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وَاجِلٌ مُسَمًّى لَكَانَ  
لِرِزَامًا<sup>(1)</sup>، فالقرطبي هنا بيّن مراتب الكلام،  
واستعان بها لمعرفة معنى الآية.

وكذلك ما ذكره أبو حيان في تفسير قوله  
تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا  
قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ  
بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ  
بَل لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ  
لَمْ يَسْنَهُ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً  
لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ  
نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259] قال: «وَمَا أَمَرَ  
بِالنَّظَرِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَبِالنَّظَرِ إِلَى الْحِمَارِ،  
وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ صُحْبَتَهُ، وَقَالَ تَعَالَى:  
﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أَي: فَعَلْنَا ذَلِكَ، وَمَا  
كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كَالْجَمَلِ، بَيَّنَّ لَهُ  
جِهَةَ النَّظَرِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْحِمَارِ، فَجَاءَ النَّظَرُ الثَّلَاثُ  
تَوْضِيحًا لِلنَّظَرِ الثَّانِي، مِنْ أَيِّ جِهَةٍ يَنْظُرُ إِلَى الْحِمَارِ،  
وَهِيَ جِهَةُ إِحْيَائِهِ وَارْتِفَاعِ عِظَامِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا عِنْدَ  
التَّرْكِيبِ وَكَسْوَتِهَا اللَّحْمَ، فَلَيْسَ نَظَرًا مُسْتَقِلًّا، بَلْ  
هُوَ مِنْ تَمَامِ النَّظَرِ الثَّانِي، فَلِذَلِكَ حَسَنَ الْفَصْلُ  
بَيْنَ النَّظَرَيْنِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾  
وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ كَمَا زَعَمَ بَعْضُهُمْ،  
وَإِنَّ الْأَنْظَارَ مَنْسُوقٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَإِنَّ قَوْلَهُ:  
وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ إِخْبَارٌ هُوَ مُقَدَّمٌ فِي اللَّفْظِ،

مُؤَخَّرٌ فِي الرِّبَّةِ<sup>(2)</sup>.

وهكذا نرى كيف يوظف المفسرون النحو  
ومعانيه ومراتب الكلام فيه لخدمة تفسير كتاب الله  
تعالى وبيان معانيه.

### الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر  
له سبحانه على تيسيره وتوفيقه لي بإتمام هذا البحث،  
وأسأله تعالى أن يجعله عملاً نافعاً متقبلاً.

وقد توصلت - بفضل الله - إلى جملة من النتائج  
وكما يأتي:

1. لتبنيها الإمام الزركشي في كتابه البرهان  
في علوم القرآن الأثر الواضح في مؤلفات من بعده  
من العلماء.
2. الفرق بين تفسير المعنى وتفسير الإعراب  
أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة  
النحوية وتفسير المعنى لا يضر مخالفة ذلك.
3. إذا تجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد،  
وذلك بأن المعنى يستدعي أمر معين والإعراب  
يأباه، ففي هذه الحالة يرى الزركشي أن التمسك  
بصحة المعنى يؤدي لصحة الإعراب.
4. أن موقع الكلمة من الجملة قد يدل على  
وظيفتها النحوية، وهذا ما يطلق عليه (الرتبة).
5. الرتبة في النحو قرينة على المعنى، أما في  
الأسلوب فهي وسيلة فنية يعبر فيها المتكلم عن  
معنى إضافي دون الحاجة إلى استعمال كلمات جديدة.  
وختاماً أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل  
ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

(2) البحر المحيط في التفسير: 639/2.

(1) الجامع لأحكام القرآن: 99/4.

- 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ - 1957م.
9. البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبْنَكَة الميداني دمشقي (ت: 1425هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م.
10. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت: 442هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1412هـ - 1992م.
11. التساؤلات في كتاب البرهان للزركشي وجوابه عنها (جمعاً ودراسة): فيصل بن عبد الله المقبل، أطروحة دكتوراه، في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1443هـ - 2021م.
12. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ.
13. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ - 1983م.
14. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
15. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار

### المصادر والمراجع

1. الإتيان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ - 1974م.
2. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.
3. إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: 338هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
4. إنباء الغمر بأبناء العمر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تحقيق: د. حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ - 1969م.
5. إنباء الرواة على أنباء النحاة: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: 624هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1406هـ - 1982م.
6. البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، دار الفكر، بيروت، 1420هـ - 2000م.
7. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني (ت: 1250هـ)، دار المعرفة، بيروت.
8. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت:

- إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1387هـ-1967م.
16. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: 1093هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ - 1997م.
17. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت: 392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
18. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
19. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط2، 1392هـ - 1972م.
20. دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني (ت: 471هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني، جدة، ط3، 1413هـ - 1992م.
21. الدليل الشافي على المنهل الصافي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت: 874هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1998م.
22. الزركشي ومنهجه في كتاب البرهان في علوم القرآن: محمد عبد الله محمد ثاني: أطروحة دكتوراه، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، 1419هـ - 1998م.
23. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: محمد بن عبد الله بن حميد النجدي ثم المكبي (ت: 1295هـ)، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م.
24. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ - 1985م.
25. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي (ت: 1089هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1406هـ - 1986م.
26. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي (ت: 900هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.
27. شرح كتاب سيبويه للسيرافي: أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت: 368هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.
28. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: 902هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
29. طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي تقي الدين

- ابن قاضي شهبة (ت: 851هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ.
30. طبقات المفسرين: محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداودي المالكي (ت: 945هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
31. طبقات النحويين واللغويين: محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي (ت: 379هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف.
32. القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد محمد سالم محسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1404هـ - 1984م.
33. قرينة الرتبة في اللغة العربية: أمل باقر جبارة، بحث منشور، مجلة كلية الفقه، جامع الكوفة، العدد: 15، لسنة 2012.
34. الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 33، 1408هـ - 1988م.
35. الكشاف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ - 1987م.
36. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله الشهير بـ (حاجي خليفة) (ت: 1067هـ)، وكالة المعارف بإسطنبول، 1941م - 1360هـ، 1943م - 1362هـ.
37. لباب الآداب: أبو المظفر مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبلي الشيزري (ت: 584هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط2، 1407هـ - 1987م.
38. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت: بعد 880هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.
39. لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
40. اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط5، 1427هـ - 2006م.
41. المجمع المؤسس للمعجم المفهرس: مشيخة: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بـ «ابن حجر العسقلاني» (ت: 852هـ)، تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط1، (ج1) 1413هـ - 1992م، (ج2 - 4) 1415هـ - 1994م.
42. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.
43. معاني القرآن وأعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
44. المعجم العربي لأسماء الملابس: د. رجب عبد الجواد إبراهيم (كلية الآداب - جامعة حلوان)، دار الآفاق العربية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1423هـ - 2002م.

45. المعجم الوسيط: نخبة من اللغويين، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1392هـ - 1972م.
46. مغني اللبيب عن كتب الأعراب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف أبو محمد جمال الدين ابن هشام (ت: 761هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985.
47. منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق: عوض قاسم أحمد عوض، دار الفكر، ط1، 1425هـ - 2005م.
84. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين (ت: 874هـ)، تحقيق: دكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
49. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد 1158هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.
50. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: 874هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
51. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم (ت: 1339هـ)، وكالة المعارف بإسطنبول، 1951 - 1955.
52. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية، مصر.
53. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.